مجلة (لغة – كلام) تصدرعن مخبراللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 10/ العدد: 03- جوان (2024)

تاريخ الاستلام: 2024/04/12 تاريخ القبول: 2024/06/09 تاريخ النشر: 2024/06/30

التأويل ومساءلة التراث العربي عند عبد الفتاح كيليطو

✍ شريفة مختيش
equi.formation19@gmail.com
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة/الجزائر

The Interpretation and Accountability of Arab Heritage: A Study by Abdel Fattah

✍ mekhtiche cherifa
equi.formation19@gmail.com
University of Skikda / Algeria

ملخص البحث

تعود أهمية إعادة قراءة التراث إذن هو فاعلية منتجة للفهم التاريخي والوعي النقدي لفك مغاليق التراث وإضاءة حقيقة الأفكار، قدم لنا الناقد المغربي "عبد الفتاح كيليطو" في كتابة "الحكاية والتأويل" قراءات رائعة لنصوص تراثية عربية متعلقة بـ (الشعر والنثر والبلاغة)، كانت رغبة منا في قراءة هذا المشروع الثري الغني بـ"قراءات مفتوحة" على حد تعبير "بول ريكور"، لأنها التحمت في نسيج الحياة الإنسانية كلها. وقضية التأويل قديمة جديدة شغلت المفكرين والفلاسفة العرب والغرب لأهميته القصوى في الفهم ومعرفة الحقيقة.

الكلمات المفتاحية بالعربية: - التأويل – التأويلية – التراث العربي– عبد الفتاح كيليطو.

ABSTRACT:

The importance of re-reading heritage is therefore an activity that produces historical understanding and critical awareness in order to unravel the mystery of heritage and illuminate the truth of ideas. In his book "Story and Interpretation," the Moroccan critic Abdel Fattah Kilito offers us wonderful readings of traditional texts related to (poetry, prose, and rhetoric). It was our desire to read this rich project, which is rich in "open readings," as Paul Ricoeur put it. Because it is integrated into the fabric of all human life. The issue of interpretation is an old and new one that has occupied Arab and Western thinkers and philosophers because of its utmost importance in understanding and knowing the truth.

Keywords: **Interpretation - Hermeneutics - Arab Heritage - Abdel Fattah Kilito.**

1.مقدمة:

توزعت أعمال الناقد كيليطو على منظومات نقدية متنوعة على مستوى البنيوية وما بعدها، ونظرية التلقي والتأويل وهي المعنية ببحثنا هذا لوصف ما جاء به الناقد من فهمه للتأويل وتطبيقه له من خلال كتابه (الحكاية والتأويل)، الذي آثر من خلاله العودة إلى التراث السردي العربي وأعاد قراءته تأويليا دون الالتزام بأي منهج نقدي محدد.

هذا الكتاب المتوسط الحجم –الحكاية والتأويل- الموزع على فصول ومباحث مهمة تستحق الدراسة، لسبب واحد ووحيد وهو عودة الناقد إلى التراث العربي ليعيد قراءته وإحياءه بحثا عن معاني ودلالات جديدة ومغايرة لقراءات سبقته.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها وقفت مع المشروع النقدي الضخم (الحكاية والتأويل 1984م) لعبد الفتاح كيليطو الذي عاد بنا إلى الذاكرة العربية التراثية لاكتشافها وإعادة بعثها في أبهى حلة من الذوق النقدي الرفيع المبني على التأويل وانفتاح الدلالات وتعدد قراءاتها متأثرا بكبار المؤولين أمثال (بول ريكور ورولان بارث. وهنا تفرض بعض الإشكالات نفسها حول:

ماهي دوافع المبدع وأهدافه في العودة للقديم؟. إذا كان التأويل هو بحث عن دلالات جديدة، فما الجديد من الدلالات المتحصل عليها في ذاكرة التراث العربي؟. ماهي القضايا والمسائل الأدبية التي لفتت انتباهه في هذا التراث، وكيف حاورها بمنظور حداثي؟. كيف تمكن من تكييف النص العربي القديم مع تيار الحداثة؟. وبالتالي هل حافظ على معاني النصوص كما هي من ذي قبل؟.

أما المنهج المعتمد في هذه الدراسة هو الوصف والتحليل الأنسب في هذا النوع من الدراسة، من باب (نقد النقد) أو قراءة للقراءة.

2. الفكر التأويلي عند العرب والغرب.

1.2 فعل التأويل عند العرب:

انشغل العرب والمسلمون قديما بالتأويل، لأنه عملية ضرورية لفهم تفاصيل الأشياء ما ظهر منها وما بطن، "وإذا كانت الظواهر أو الأفعال لا تتلاءم مع ما يستنبطه من معارف وعادات فإنه يلجأ إلى عملية تأويلها ليجعلها منسجمة متناغمة مع معارفه الخلفية، فيعمد المؤول إلى رد الغائب إلى الشاهد"[1]، اهتم القدماء العرب بالتأويل واحتل مكانة كبيرة في فكرهم تحت مسمى "أصول الفقه"، عرفت النهضة الحديثة مؤولين كبارا لتفسير الثقافة العربية (شعرا ونثرا ونقدا وبلاغة ولغة).

2.2 فعل التأويل عند الغرب:

ترجع أهمية التأويل إلى التراث الاغريقي مع افلاطون وأرسطو، ارتبطت أهميته بتيسير ما ليس في طاقة الانسان وتحويله إلى صورة مفهومة، ففكرة الأداء البشري لرسالة الآلهة موجودة في التراثين العربي والاغريقي التي تتشعب إلى منطلقات ثلاث (المنطق المسموع والشرح والترجمة) تجتمع حول فكرة واحدة: تقريب البعيد وإحالة غير المألوف إلى المألوف، وإحالة الآبد إلى حاضر في متناول الفكر، ليقوم المنطق بالإسهام في هذه الوظائف، والأعمال العظيمة التراثية منطوقة ولغتها الشفهية أقوى من اللغة المكتوبة، ولهذا أكد أفلاطون أن اللغة المكتوبة لا حول لها بالقياس إلى الكلام، وأن الانسان يحول ما يقرأ إلى صورة منطوقة باحثا عن القوة المفقودة، إذن الكتابة في رأي أفلاطون حرمت اللغة من قوتها وحولتها إلى عالم غريب، أما الكلام فهو الصورة الأصلية للغة[2].

من أهم أعلام التأويلية الغربية: بول ريكور وأمبرتو ايكو وجادامير.

عرف بول ريكور الهيرمينوطيقيا بـ "عمليات الفهم الممارسة في تأويل النصوص"[3]، فرق بول ريكور بين التأويل المتناهي والتأويل اللامتناهي، وبين سلبيات التأويل الأخير-اللامتناهي- قائلا: "إن المتناهي هو الذي يستقر على حالة بعينها ويتحدد بحدود وينتهي عند غاية، ونشوء الحضارة ورقيها استندا إلى فكرة الحدود هاته، والتأويل هو استقرار على مدلول بعينه، أي المحكوم بغاية بعينها، أما لا نهائية التأويل معناه أن كل الأفكار صحيحة حتى ولو تناقضت فيما بينها وأنتجت مدلولات عبثية"[4].

ركز بول ريكور على قضية الدلالات اللامتناهية في كتابه "التأويل المضاعف للنصوص" ليتجاوز الفكر البنيوي الذي يؤمن بأحادية الدلالة عندما قام بعزله عن السياقات الخارجية وفصله عن صاحبه، ليعيد بول ريكور بصفة خاصة والفكر ما مبعد البنيوية بصفة عامة إلى انفتاح النص على مجموعة كبيرة من القراء بمؤهلاتهم اللسانية باعتبارها موروثا اجتماعيا ليفضي إلى تأويلات معقدة، لأن الموروث الاجتماعي يخلق مواصفات ثقافية للغة المستعملة وكذا تاريخ التأويلات السابقة الخاصة بمجموعة كبيرة من النصوص"[5].

اهتم جادامير بالمسافة الزمانية والمكانية للأحداث أو السياقات الخارجية المحيطة بالواقعة "هذه المسافة الزمنية وحدها القادرة على جعل الحل للمسألة النقدية للهيرمينوطيقا أمرا ممكنا، بمعنى التمييز الذي ينبغي إقامته بين التصورات المسبقة الصحيحة التي توجه الفهم والتصورات المسبقة غير الصحيحة التي تكون سببا في عدم الفهم"[6]، لتأتي عملية التأويل كمرحلة ثالثة بعد عمليتي (التلقي والقراءة)، فهذا التسلسل المنطقي "يمثل منظومة متجانسة تقع في دائرة الاعتداد بطرفي العملية التواصلية (النص والقارئ) وتحليل جمالية التفاعل بينهما"[7]

قدم "بول ريكور" تصورات حول التأويل وغايته وحدوده من خلال المحاضرات التي ألقاها على طلابه في جامعة "يال الأمريكية" سنة 1992م.عرض بول ريكور أرقى شكلين عرفهما التأويل:

الأول: يكون التأويل محكوما بمرجعياته وحدوده، انطلاقا من معطيات النص لتحقيق تأويلات تتواءم مع الذات المتلقية. الثاني: إذا كان النص نسيج من المرجعيات المتداخلة فيما بينها، فيدخل النص في تأويلات لا حدود لها، مادام النص توليفا لأسنن بالغة التنوع مندرجا ضمن كل السياقات التي يتيحها الكون الانسان[8].

للتأويل لذة ومتعة للقراءة على حد تعبير بول ريكور الذي قال عنه: " فالبحث عن عمق تأويلي يشكل وحدة كلية تنتهي إليها كل الدلالات سيظل حلما جميلا من أجله ستستمر مغامرة التأويل، حتى وإن كان الوصول إلى هذه الوحدة أمرا مستحيلا"[9]، هذا الشكل الثاني (التأويل المتناهي) لا يلغي التعدد ولكن يجعل منه سيرورة منتهية، لأن التعدد تفرضه الحاجات الإنسانية المتنوعة[10].

يعتبر الناقد صلاح فضل أن مقال الناقد الألماني "ياوس" المعنون بـ "التغير في نموذج الثقافة الأدبية" المنطلق الحقيقي لهذا التوجه، الذي حدد العوامل الضرورية للنموذج الجديد في ثلاث نقاط:

أولا: انعقاد الصلة بين التحليل الشكلي والتحليل التاريخي، ثانيا: الربط بين النقد البنيوي والنقد التأثري، ثالثا: اختبار جماليات التأثير[11].

3. التأويل والتراث:

1.3 أهمية التأويل في مساءلة التراث:

مصطلح التأويل كان مشاعا في دوائر الفلسفة والأدب واللاهوت في البيئات العربية والغربية قديما، أعاد الفلاسفة والنقاد هذا التوجه التأويلي إلى الساحة الفكرية ليصبح من منظومة الفكر المابعد البنيوية لملء وسد الفجوة بين النص وصاحبه التي تعمدت البنيوية القفز عليها، إذن "جاء هذا التيار ليستكمل ما أجملته البنيوية وليضع العملية الأدبية في دائرة التواصل الإنساني بالنظر إلى طبيعتها وبنقل مركز الثقل من استراتيجية التحليل من جانب المؤلف –النص إلى جانب النص- القارئ"[12].

من أقوى النظريات الفكرية التي يعول عليها لفهم التراث هي التأويلية لما يمثله هذا التراث من قيمة "يمتد مغزاه إلى الواقع الراهن الذي نعيش فيه جميعا... فالعلاقة بين الماضي والحاضر علاقة تواصل"[13] ، مهما اختلفت التأويلات باختلاف الأديان والأجناس فإن أصل ظهوره تحقيقا لغاية واحدة، فهم غرابة المعنى وبث قيم جديدة بتأويل جديد، "أي إرجاع الغرابة إلى الألفة، ودس الغرابة في الألفة"[14]، التأويل أعم من العالم اللغوي الذي يعيش فيه الانسان، ليلتحم التأويل في نسيج الحياة الإنسانية كلها، فالوجود الإنساني ليس بمعزل عن اللغة، اللغة تكون رؤية الإنسان وتفكيره، أو تصوره لنفسه وللعالم، إذن اللغة هي الوسيط الذي نعيش فيه ونتحرك ونشعر بكينونتنا[15].

تتخذ التأويلية من الكتابة سبيلا لفتح الذات على العالم الخارجي مستعينة بالرموز التي تتوسط العالم والفهم[16]، إعادة قراءة التراث إذن هو فاعلية منتجة للفهم التاريخي والوعي النقدي لفك مغاليق التراث وإضاءة حقيقة الأفكار[17]، يقول مصطفى ناصف: "التأويل إحياء لثقافتنا بل لا إحياء دون تأويل في خدمة الثقافة العامة لا خدمة نص مفرد، ثقافتنا العربية لا سبيل إلى أن تعرف معرفة نامية دون هذا النشاط، إن العقل العربي ظلم أكثر من مرة، وهذا يعني في الحقيقة فقرأ في القراءة، كذلك زلم النقد العربي والبلاغة العربية التي مازالت محتاجة إلى تأويل ... التأويل إذن عطاء لوجودنا وإثراء لماضينا وحاضرنا، ولا سبيل لخدمة الشخصية العربية إلا بالتأويل"[18].

"الفهم هو فن ترجمة حقائق التراث وتطبيقها وصهرها في بوتقة القضايا الراهنة بإحياء دلالات مطموسة وبذور معرفية مغروسة وبعث أفكار من طي الكبت والنسيان وغياهب اللغة واللسان، ليدل هذا على أن حركة التاريخ تصنعنا ككائنات تاريخية بقدر ما نصنع التاريخ بإرادة الفهم والتفاهم والحوار ما "ماقيل" و"أدرك" في تجربة التاريخ والحياة قبلنا"[19].

الفهم عند جادامير هو وعي بالماضي وتاريخه، والعلاقة مع الآخر تدفعنا إلى مساءلة حاضرنا وصياغة أسئلتنا ومشكلاتنا والتنقيب عنها في النصوص التراثية للوصول إلى دلالات ملائمة[20]، ويتحقق التأويل عنده في التفاهم والحوار بين "النحن والتراث"، وبين "الأنا والآخر" من خلال مساءلة النص التراثي، نشاط التأويل عند جادامير هو اضاءة عتمة اللغة، لأن "شيئية الكتابة" مقرها عمق التراث، وهذا الحوار بين "النحن والتراث" هو انصهار العوالم من مبدأ المشاركة في تشكيل حقيقة مشتركة[21].

تحدث الآثار الفنية تأثيرا في عقل المستهلك وإحساسه وهو يتفاعل مع مجموعة من المثيرات ويحاول فهم علاقاتها بإحساس شخصي وثقافة معينة قبلية، "ويرجع التمتع بالأثر الفني إلى كوننا نعطيه تأويلا ونمنحه تنفيذا ونعيد إحياءه في إطار أصيل، وهو أثر مفتوح كونه يؤول بطرق مختلفة دون أن تتأثر خصوصيته التي لا يمكن أن تختزل"[22].

إن شعرية الأثر المفتوح كما يقول: "بوسور: تعطي أهمية لأفعال الحرية الواعية عند المؤول وتجعل منه المركز الفعال لشبكة لا تنتهي من العلاقات، وهو يقول من بينها بإنجاز شكله الخاص دون ان تؤثر فيه أية ضرورة يفرضها التنظيم نفسه للعمل"[23].

إن التراث العربي لديه من العلامات والرموز الكثيرة التي تجعل منه آثارا مفتوحة قابلة لعدة تأويلات، لأن النصوص التراثية قطعة من الوجود الإنساني بكل انشغالاته (النفسية والثقافية والاجتماعية ..)، عكف الناقد عبد الفتاح كيليطو على مطالعة التراث (قراءة وتحليلا وفهما) أو بالأحرى قام بمساءلة ومحاورة التراث العربي، مستثمرا مقولات الغرب في التأويل، من خلال توظيف مصطلحاتهم ومفاهيمهم، في كتابه –عبد الفتاح كيليطو- "الحكاية والتأويل" قرأ أنواعا شتى من فنون التراث العربي (نصوص

البلاغة لعبد القاهر الجرجاني) ونصوص السرد "ألف ليلة وليلة" والشعر "لابن العتز" والأمثال "للهمذاني".

مساءلة التراث حاضرة وبقوة في المدونة النقدية المعاصرة عند (محمد مفتاح وكيليطو مغربا وجابر عصفور وعبد الله الغذامي مشرقا وغيرهم)، من باب إعادة قراءته وفحصه برؤى نقدية موزعة على مناهج بنيوية تارة ومابعد البنيوية تارة أخرى، في سنة 1967 نادى هيرش في كتابه (صحة التأويل) بالتحام النقد الأدبي والتأويل قال: "ينبغي أن يمون لفلسفة التأويل مكان الدائرة والتمهيد في دوائر الأدب"[24].

تنتمي دراستنا إلى الفكر المابعد البنيوي (التأويلية) تحديدا ممثلة لها بعبد الفتاح كيليطو في كتابه – الحكاية والتأويل- قام فيه بقراءة ستة نصوص سردية، البعض منها في الأدب والآخر في الترجمة، طرح كيليطو مجموعة من التساؤلات عن طبيعة القراءة أو التأويل:" كيف ينبغي أن نقرأ؟، ما هي شروط ومقاييس القراءة الجيدة؟، ومن سيحكم على قراءة ما بأنها جيدة أو رديئة؟، من سيقول القول الفصل؟[25]. يعني كيليطو بالقراءة التأويل، لتصبح اشكالاته على هذا النحو: كيف ينبغي أن نؤول؟، ما هي شروط ومقاييس التأويل الجيد؟

"يوصف حدث الفهم في واحدة من أشهر استعارات "جادامير" بأنه امتزاج الأفق الخاص بالفرد المتلقي بالأفق التاريخي المستقل لنص أدبي ما، على سبيل المثال فكرة أدبية خادعة، فليس هناك خط فاصل بين الأفق الماضي والأفق الحاضر"[26].

2.3 عبد الفتاح كيليطو والقراءة الجديدة لأسرار البلاغة للجرجاني:

يرى مصطفى ناصف أن في التأويل الفنومينولوجي صورة من صفاء الروح والتعاطف والإيمان بفكرة التراث الحي الذي لا يفترق عن فكرة الحاضر الحي"[27]، ينبغي الاعتراف بفكرة العوالم المتغيرة من ناحية، وتفتح العوالم بعضها على بعض من ناحية ثانية[28]، تتجاوز القراءة فردية النص وتبحث عن الأفق الثقافي الذي تغفل عنه المناهج، إذن "تأويل النص إسهام في إثارة أسئلة أساسية بطريقة تجمع بين المودة والريب"[29]. بناء على هاته المعاني قام كيليطو بدراسات موازية لنصوص تراثية (أسرار البلاغة وكليلة ودمنة وألف ليلة وليلة).

الإضافة الأولى التي اقترحها كيليطو وبعد قرون عدة من اكتمال المشروع البلاغي للجرجاني الموزع بين خطابين لا أكثر وهما (البيان والبديع) ليضيف كيليطو خطابا ثالثا قائلا: "ثلاثة خطابات تتواجد في كتاب الجرجاني: الخطاب البلاغي المقنن لفنون المجاز، الخطاب المجازي المتكون من الاستعارات والتشبيهات التي يستخدمها المؤلف، الخطاب الشعري المركب من الأبيات التي يتم استدعاءها في كل صفحة من صفحات الكتاب"[30].

يتساءل كيليطو على المنهج المناسب في دراسة أسرار البلاغة للجرجاني قائلا: " مرة أخرى أطرح على نفسي السؤال التالي: كيف سأتناول كلام الجرجاني؟ هل سأقنع بسرد الصور الواردة فيه؟ هل سأفسرها انطلاقا من افتراض أقوم بتركيبه؟ في هذه الحالة ينبغي أن يكون التحليل متسقا ومتناسقا. لا يكفي أن أتناول صورة منفردة وأقول إنها ترمز إلى هذا الشيء أو ذلك. إن كثرة الصور واتساقها هو الذي يقرض على أن أنتبه إلى العلاقة التي تجمع بينها وإن أنتقل إلى المعنى الذي من المرجح أنها ترمز إليه. لن ينفعني أن أستشهد بهذا الدارس أو ذاك، بهذا الفيلسوف أو ذاك، إذا لم تستجب النصوص العربية للتحليل الذي أقترحه عليها. لا بد أن اعرض تفسيري على أكبر عدد ممكن من النصوص الكلاسيكية بهدف التحقيق والمراجعة، لا بد أن أقنع نفسي وأقنع الغير بأن هذا التفسير يلائم الثقافة العربية"[31].

تطرق كيليطو إلى معوقات القراءة وأنواعها، هناك القراءة المعرضة أو التأويل المفرض الذي يقصد عن سوؤ نية للنص المقروء، بالمقابل القراءة غير المغرضة التي تصدر عن حسن نية، ليطرح جملة من الأسئلة: كيف ينبغي أن نقرأ؟ ماهي شروط ومقاييس القراءة الجيدة؟، ومن سيحكم على قراءة ما بأنها جيدة أو رديئة؟ من سيقول القول الفصل؟ ما هو مسلم به اليوم أن القارئ يقرأ النص انطلاقا من اهتمامات تخصه أو تخص الجماعة التي ينتمي إليها، ليكون هدفا سواء أكان عن حسن نية أم العكس. أعطى نوعا من القراءة أسماه القراءة الافتراضية، في قوله: "كيف سأتناول هذه الحكاية –الصياد والعفريت-التي لا يعرف مؤلفها؟ إن الحديث عما قصد إليه هذا الأخير لا يتعدى مستوى الافتراض، فعلى سبيل المثال يمكنني أن أقول ان المؤلف قصد كذا .."[32].

كما افترض كيليطو وجود قارئ من نوع آخر وهو قارئ ساذج بغرض التسلية لا غير، وهو قارئ مؤول، فتكتسب القراءة التأويلية صفة السذاجة والعفوية[33].

"ينظر إلى أسرار البلاغة على أنه كتاب يتناول مسألة المجاز، وبالفعل فإن الجرجاني درس هذه المسألة بشتى فنونها وأشكالها، إلا أن خطابه البلاغي يتضمن خطابين آخرين"[34]، ليصبح مجموع الخطابات ثلاثا "الخطاب البلاغي المقنن لفنون المجاز، الخطاب المجازي المتكون من الاستعارات والتشبيهات التي يستخدمها المؤلف، الخطاب الشعري المركب من الأبيات التي يتم استدعاءها في كل صفحة من صفحات الكتاب"[35]، فسر الناقد علاقة الخطابات الثلاث من خلال ما أورده الجرجاني في صفحة واحدة من أسرار البلاغة أربعة أبيات لابن المعتز أقتطعها من قصائد مختلفة، مضمونها جدلية الصبح والليل[36]، لأن مهمة الهيرمينوطيقا الأولى حسب ريكور: ""البحث داخل النص نفسه من جهة عن الدينامية الداخلية الكامنة وراء تبنين العمل الأدبي، ومن جهة ثانية البحث عن قدرة هذا العمل على أن يقذف نفسه خارج ذاته ويولد عالما يكون فعلا هو شيء النص اللامحدود"[37].

التأويل هو زحزحة للعلاقات وتغيير للمواقع، وإعادة ترتيب عناصر العلامات وربطه بتجربة حياتية لا تتجاوز حدود الاستجابة للبعد النفعي فيها[38].

سقاني وقد سل سيف الصبا ح والليل من خوفه قد هرب

حتى بدا الصباح من نقاب كما بدا المنصل من قراب

أما الظلام فحين رق قميصه وأتى بياض الصبح كالسيف الصدي

سبقنا إليها الصبح وهو مقنع كمين وقلب الليل منه على حذر

ثم يورد الجرجاني في نفس الصفحة بيتا لأبي عثمان الخالدي:

والصبح قد جردت صوارمه والليل قد هم منه بالهرب

قدم كيليطو تأويلا لهذه الأبيات بتأويل الصبح (بالظاهر) والليل (بالباطن)، هذه الثنائية الحادة تدل على الوضوح والتجلي من جهة، والخفاء والستر من جهة أخرى، هذه الجدلية بينها صراع دائم ينتهي بانهزام الليل وانتصار النهار، صناعة الكلام هذه تعكس معتقدات فكرية قديمة مبثوثة في بعض الأساطير، ليطرح بعد ذلك كيليطو بعض التساؤلات التي تفضي به للبحث عن تأويلات لها، نذكر منها هذا التساؤل المهم: "هل نحن بإزاء مخلفات من هذه الأساطير في الأبيات الخمسة التي ذكرها الجرجاني؟"[39]، الوصول إلى حقيقة المعنى بالرجوع إلى نصوص تراثية أخرى (كليلة ودمنة)، إذن تأويل التراث بالتراث، "تقول الشمس لناسك: "أنا أدلك على من هو أقوى مني: السحاب الذي يغطي نوري ويغلب عليه")[40]. التأويل الذي خرج به كيليطو "الشمس هنا حبيسة السحاب كما كانت حبيسة الليل في الأبيات السالفة الذكر.

2.3 نموذج تأويلي من ألف ليلة وليلة (الصياد والعفريت):

يرى كيليطو بأن فعل التأويل يقوم به كل انسان، وبإمكان كل صنوف القراء أن يمارسوا فعل التأويل، هذا يدل على أن التأويل من صنع الواقع وليس المناهج، إذن التأويل بمقدور القارئ العادي أو كما سماه كيليطو (القارئ الساذج)، "سأتصور الآن قارئا ساذجا يطلع على حكاية الصياد بغرض التسلية لا غير. هذا القارئ سيتحول رغم أنفه إلى مؤول، ذلك أن في حكاية الصياد والعفريت عناصر مبهمة غامضة شبيهة بألغاز وليس في النص ما يساعد على فكها"[41].

من الواضح أن كيلطو متأثر أيما تأثر بالفكر الغربي الذي يرفض غلق النص، يقول أمبرتو إيكو: ""هناك حالة أشعر فيها بالتعاطف مع العديد من نظريات التوجه نحو القارئ عندما يوضع نص في الزجاجة- وهذا لا يحدث مع الشعر أو السرد، ولكن أيضا مع نقد العقل الخالص، أعني عندما يتم إنتاج نص لا لأجل مخاطب مفرد بل لأجل جمهور من القراء، فإن المؤلف يعرف أنه سيؤول بحسب استراتيجية معقدة من التفاعلات التي تتضمن أيضا القراء، بالإضافة إلى قدراتهم اللغوية كخزانة اجتماعية"[42].

من هذه العناصر التي تشكل لغزا في قصة الصياد والعفريت: العنصر الغريب الأول أن الصياد يرمي شبكته كل يوم أربع مرات وله ثلاثة أولاد، هل هو رابعهم، أم أن واحدا من أبنائه يرمي الشبكة مرتين،

هناك فراغات تنتظر من القارئ ملئها بالتأويل. العنصر الثاني: قضى الجني داخل القمقم ألف وثمانمئة سنة، لماذا هذه السنوات تحديدا؟، لماذا ليس أقل أو أكثر؟.

يفسر كيليطو "كلمة جني بأنها مرتبطة صوتيا ودلاليا بكلمات أخرى، بالجنون مثلا (لأن الشخص المجنون يسكنه جني) وبالجنين، ليس هذا الربط بين الجني والجنين من باب اللعب بالألفاظ وإنما من صميم اللغة و إقرأ في لسان العرب: "جن الشيء يجنه: ستره، وبه سمي الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار" ثم يضيف بن منظور: "ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن أمه". تدل كلمة جن أيضا على البداية، بداية شيء أو زمن: "يقال: كان ذلك في جن صباه أي في حداثته"[43]، بين كيليطو مرجعيته الفكرية في التحليل قائلا: "الصدفة وحدها(؟) جعلتني أتصفح لسان العرب وأنتبه إلى العلاقة بين كلمة جن وكلمة جنين. لذاك أخذت الخطوط العريضة لقراءتي للحكاية ترتسم وتتضح وتتأكد. وبالفعل بين الجني والجنين تماثل قوي، كلاهما في البداية ملفوف في ظرف في وعاء مائي، وداخل هذا الوعاء كلاهما بين الحياة والموت (كلمة جنين تعني فيما تعنيه المقبور: والجنن بالفتح هو القبر لستره الميت"[44].

قراءة كيليطو لكتاب "زعموا أن":

أول ما نوه به كيليطو في هاته المقاربة التأويلية هو بيان أهمية المتلقي في انتاج السرد، يقول: "بم يؤلف بيدبا الفيلسوف كتاب كليلة ودمنة من تلقاء نفسه، لم يألفه محبة في التأليف، وغنما استجابة لرغبة عبر عنها دبلشيم ملك الهند، دبلشيم هو الذي أمر بيدبا بتأليف الكتاب، لابد إذن أثناء التحليل من الانتباه على مشاركة المتلقي في إنجاز الكتاب، فلولا المتلقي لما كان هناك سرد ولا تأليف[45]".

4. خاتمة:

- وصف كيليطو قراءة التراث بالموضوع الشيق (ص24 من كتاب الحكاية والتأويل) بطبيعة الحال ينتظر من القراء تأويلات مثيرة شيقة.

- يمثل هذا الكتاب (الحكاية والتأويل) مشروع قراءة يتقاطع مع نظريات القراءة والتأويل عند الغرب، متخذا من ذاكرة النقد والأدب العربي القديم أداة للتطبيق والتجريب.

- التأويل حاجة ماسة لكل قارئ للخطابات اللغوية والغير اللغوية.

- اختيار الناقد كيليطو قراءة التراث هو اختيار مقصود (قصد إثرائه بتأويلات مغايرة لما سبق لها من تأويل. وينطبق عليه المقولة القيمة لناقدنا العظيم مصطفى ناصف عندما وصف النقاد المؤولين بالباحثين العظماء "كل باحث عظيم مؤولا".

- قام عبد الفتاح كيليطو بدراسة التراث لإيمانه بأنها آثار مفتوحة قابلة لقراءات متجددة.

- قرأ (أول) كيليطو التراث العربي انطلاقا من متعة جمالية تفاعلية بينه والأثر المقروء (المؤول).

- قدم لنا الناقد المغربي "عبد الفتاح كيليطو" في كتابة "الحكاية والتأويل" قراءات رائعة لنصوص تراثية عربية خاصة بـ(الشعر والنثر والبلاغة).

- تتميز تأويلات كيليطو بالحوار، محاورة التراث ومساءلته بالتحليل والمناقشة.

قائمة المراجع:

1- عبد الفتاح كيليطو: الحكاية والتأويل دراسات في السرد العربي. دار توبقال للنشر. المغرب. ط1. 1988.

2- أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية. ترجمة وتقديم: سعيد بن كراد. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط2. 2004.

3- أمبرتو إيكو: التأويل والتأويل المفرط. ترجمة: ناصر الحلواني. مركز الانماء الحضاري. حلب. دت.

4- أمبرتو إيكو: الأثر المفتوح. ترجمة: عبد الرحمن بوعلي. دار الحوار. اللاذقية. سورية. ط2. 2001.

5- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته. ميرفت للنشر. القاهرة. ط 1. 2002.

6- عمارة ناصر: اللغة والتأويل مقاربات في الهيرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الاسلامي. منشورات الاختلاف. ط1. 2007.

7- مصطفى ناصف: نظرية التأويل. النادي الأدبي الثقافي. جدة. السعودية. ط1. 2000.

8- محمد مفتاح: التلقي والتأويل مقاربة نسقية. المركز الثقافي العربي. ط1. 1994.

9- نصر حامد أبو زيد: فلسفة التأويل. دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي. دار التنوير. بيروت. لبنان. ط1. 1983.

10- هانس غيورغ جادامير: فلسفة التأويل. الأصول. المبادئ. الأهداف. ترجمة: محمد شوقي الزين. منشورات الاختلاف. الجزائر. ط2. 2006.

الاحالات

1- محمد مفتاح: التلقي والتأويل مقاربة نسقية. المركز الثقافي العربي. ط1. 1994.ص 217

2- مصطفى ناصف: نظرية التأويل. النادي الأدبي الثقافي. جدة. السعودية. ط1. 2000. ص22.

3- عمارة ناصر: اللغة والتأويل مقاربات في الهيرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الاسلامي. منشورات الاختلاف. ط1. 2007. ص19.

4- أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية. ترجمة وتقديم: سعيد بن كراد. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط2. 2004. ص14

5- المرجع نفسه. ص85-86

6- هانس غيورغ جادامير: فلسفة التأويل. الأصول. المبادئ. الأهداف. ترجمة: محمد شوقي الزين. منشورات الاختلاف. الجزائر. ط2. 2006. ص20.

7- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته. ميرفت للنشر. القاهرة. ط 1. 2002. ص145

8- ينظر: أمبرتو ايكو التأويل بين السيميائيات والتفكيكية. مرجع سابق. ص11-12

9- المرجع نفسه. ص12.

10- ينظر: المرجع نفسه. ص14.

11- ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر. مرجع سابق. ص146-147

12- المرجع نفسه. ص146

13- نصر حامد أبو زيد: فلسفة التأويل. دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي. دار التنوير. بيروت. لبنان. ط1. 1983. ص17

14- محمد مفتاح: التلقي والتأويل. مرجع سابق. ص218

15- ينظر: مصطفى ناصف: نظرية التأويل. مرجع سابق. ص21

16- عمارة ناصر: اللغة والتأويل. مرجع سابق. ص21

17- ينظر: جادامير فلسفة التأويل الأصول المبادئ. مرجع سابق. ص23

18- مصطفى ناصف. نظرية التأويل. مرجع سابق. ص 5

19- جادامير: فلسفة التأويل الأصول المبادئ. مرجع سابق. ص23-24

20- المرجع نفسه. ص24

21- ينظر: المرجع نفسه. ص25

22- أمبرتو إيكو: الأثر المفتوح. ترجمة: عبد الرحمن بوعلي. دار الحوار. اللاذقية. سورية. ط2. 2001. ص16

23- المرجع نفسه. ص 17

24- مصطفى ناصف: نظرية التأويل. مرجع سابق. ص17

25- عبد الفتاح كيليطو: الحكاية والتأويل دراسات في السرد العربي. دار توبقال للنشر. المغرب. ط1. 1988. ص21.

26- صلاح فضل. مناهج النقد المعاصر. المرجع نفسه. ص150

27- مصطفى ناصف: نظرية التأويل. مرجع سابق. ص 8

28- المرجع نفسه. ص10.

29- المرجع نفسه. ص11.

30 عبد الفتاح كيليطو: الحكاية والتأويل. (مرجع سابق). ص8

31- عبد الفتاح كيليطو: الحكاية والتأويل. مرجع سابق. ص12

32 عبد الفتاح كيليطو: الحكاية والتأويل. مرجع سابق. ص23

33 المرجع نفسه. ص24

34- المرجع نفسه. ص8

35- المرجع نفسه. ص8.

36- المرجع نفسه. ص9.

37- عمارة ناصر21-22

38- ينظر: سعيد بن كراد: السيميائيات والتأويل. 147

39- عبد الفتاح كيليطو. الحكاية والتأويل. مرجع سابق. ص 10

40- المرجع نفسه. ص10

41- المرجع نفسه. ص24

42- أمبرتو إيكو: التأويل والتأويل المفرط. ترجمة: ناصر الحلواني. مركز الانماء الحضاري. حلب. دت. ص 85-86

43- عبد الفتاح كيليطو: الحكاية والتأويل. مرجع سابق. ص29.

44- المرجع نفسه. ص 29-30.

[45] عبد الفتاح كيليطو: الحكاية والتاويل. مرجع سابق. ص33